هـــل نجـــح مـــشـــروع بـــايـــدن؟

□ حسين علي الحمداني

من الصعب جداً أن نجد البعض يعيد إحياء مشاريع قديمة تم رفضها في حينها، والنظر إليها على أنها ستجعل من العراق كانتونات متعددة وفق مسميات طائفية وعرقية ومذهبية ليس لشيء إلا لتحقيق نوازع بعيدة جداً عن طموحات الشعب العراقي.
ما أثير مؤخراً عن إقليم صلاح الدين، لم يتوقف عنده البعض لمعرفة أسبابه ودوافعه، ولم يفكر المسؤولون في مجلس محافظة صلاح الدين بخطورة هذه الخطوة التي يُراد من خلالها التعبير عن مخاوف تنتاب البعض وتجعلهم يعبرون عنها بشكل خطير جداً.

ولكن ما أثار الأسئلة أكثر هو التوقيت،هذا التوقيت الذي تزامن مع حدثين،الأول هو اقتراب الانسحاب الأميركي من العراق، والثاني اجتثاث عدد من التدريسيين والموظفين في جامعة صلاح الدين على خلفية قانون المساءلة والعدالة الذي تتحفظ الكثير من القوى السياسية عليه.
وعلينا هنا الربط بين الانسحاب والاجتثاث وإعلان الإقليم، الانسحاب بحد ذاته سيعيد التوازنات السياسية في العراق وسيعيد ترتيب التحالفات أيضاً وسيغير من الخطاب الإعلامي للجميع وفق المتغيرات الجيوسياسية التي ستحصل جراء هذا الانسحاب.
وبالتأكيد فإن الاحتلال الأميركي أوجد معادلة سياسية في البلد، معادلة أحياناً كثيرة كانت مرفوضة واعتبرها البعض أجندة تنفذ بأدوات عراقية، وأوجد أيضا ما يمكن تسميتهم بأمراء طوائف، وتعامل الاحتلال الأميركي مع القوى السياسية العراقية وفق هوياتها الثانوية وجردها بشكل أو بآخر من هويتها الوطنية، فوجدنا من يمثل السُنة ومن يمثل الشيعة، عناوين ابتدعوها ليكونوا في صدارة المشهدين السياسي والإعلامي على مدى السنوات الماضية،لا نكتم كان هنالك صراع بين هؤلاء الأمراء من كلتا الطائفتين، صراع أشبه ما يكون بالسعي لنيل رضا الحَكَم الأميركي، الجميع أنطلق من هويته الفرعية، وتناسوا الهوية الجامعة لكل الهويات، البعض كان يجد في السفارة الأمريكية والسفير ملاذاً يستنجد به كلما اقتضت الضرورة ذلك، وبالتالي فإن التدخل الأميركي في الشأن العراقي كان مرغوباً به بشكل أو بآخر من قبل أطراف عديدة ، بل إن بعض هذه القوى كان يسعى دائماً لهذا التدخل ويجد فيه ما يلبي طموحاته.
وهذا ما جعل النخب السياسية العراقية تهمل حلقة مهمة من حلقات البناء المؤسساتي للدولة العراقية والذي يتمثل بخلق مناخ مناسب بين القوى المتناقضة في ما بينها بما يؤمن بناء جسور ثقة متينة في السنوات الماضية، تحسباً لنهاية التدخل الأميركي في يوما ما ، ولكنها على ما يبدو كانت على ثقة تامة بأن الوجود الأميركي مستمر لما لا نهاية، وهذا خطأ كبير ارتكبته بعض القوى السياسية ولم تكن تمتلك بالأساس مشروعا وطنيا يتناغم وطموحات الكثير من أبناء الشعب العراقي.
لكن بدل ذلك وجدنا الأحزاب والقوى السياسية العراقية بعد عام ٢٠٠٥ جرت الشارع العراقي لحرب أهلية راح ضحيتها الآلاف من الشعب العراقي على خلفية طائفية، ونجحت القوى السياسية في نصب فخاخ الطائفية إن لم تكن قد رسختها في البلد وحققت نجاحات كل في طائفته في انتخابات عام ٢٠١٠، مما كرس مفهوم الطائفة على حساب الدولة التي بدأت أكثر ضعفاً من قبل، وهذا نابع من أن الكثير من هذه القوى كان مشروعها ليس بناء دولة جامعة للمكونات بقدر ما كان مشروعا يختصر الدولة في قومية معينة وطائفة معينة، ومن ينظر لمخرجات العملية الديمقراطية في انتخابات عام ٢٠١٠ سيكتشف الخارطة التي سعت القوى السياسية لتكوينها كل في منطقته، وكأنها بدأت متفقة على أشياء عديدة أولها تقاسم العراق.
هنا مع قُرب مواعيد الانسحاب الأميركي ما الذي يجري؟ هل تحولت هواجس عدم الثقة إلى مخاوف حقيقية؟ وماذا تريد القوى السياسية العراقية من الشعب؟ بالتأكيد هنالك أكثر من سيناريو تسعى إليه بعض القوى السياسية،السيناريو الأول يتمثل بجر البلد لحرب أهلية ثانية بذات الأدوات والآليات القديمة، وهذا من الصعب أن يحدث لأسباب عديدة أولها بأن النخب السياسية الموجودة حاليا في الشارع العراقي ليست محل ثقة الشعب وغير مستجاب لها ولدعواتها مهما كانت أسبابها وتوجهاتها من جهة، ومن جهة ثانية،الشعب العراقي لا يريد تقديم قرابين جديدة لكي يصل من خلالها هذا وذاك الى منصب يسعون إليه وكراسٍ ينحتون أرجلها بدماء العراقيين .
الجانب الثاني يتمثل بأن الكثير من النخب السياسية هذه باتت مكشوفة وتصنع نهايتها بنفسها مع نهاية التواجد الأميركي في العراق، وعليها أن تدرك جيداً بأن وجودها كان مرتبطاً بالوجود الأميركي وعليها الآن أن تعيد قراءة الواقع العراقي الجديد بعد حذف أمريكا من المشهد والتصرف وفق هذا المنظور،فإن عجزت هذه القوى عن إدراك هذا فعليها الصمت وعدم صناعة حدث يديم تواجدها على حساب أرواح العراقيين ومستقبلهم.
السيناريو الآخر وهو في المتناول ويتمثل بدفع عدد من المحافظات لأن تشكل إقليم أو مجموعة أقاليم ومحاولة إحياء مشروع بايدن بتقسيم العراق لثلاث دول كردية وسُنية وشيعية طائفياً، وشمال ووسط وجنوب جغرافياً.
هذا المشروع بحد ذاته رفضته القوى السُنية والشيعية معاً ومازالت ترفضه كما رفضته القوى الإقليمية، وفي مقدمتها الدول العربية الساعية لعراق موحد ،لكن المشكلة تكمن بأن من جعلتهم أميركا أمراء طوائف يتحدثون الآن باسم السُنة واسم الشيعة ويحاولون فرض ما رفضوه بشتى الطرق، متناسين بأن الشعب العراقي لا يتعامل الآن بعقلية ٢٠٠٦ وما تلاها ، بقدر ما أنه يريد أن يكتشف نفسه من جديد في العراق وليس في أقاليم ربما يصممها البعض على مقاساته الخاصة وبذلك يرتكب خطأً تأريخيا كبيرا لن تغفر له الأجيال القادمة هذا الخطأ.
الطائفية كانت شبحاً مقيتاً عاشه الشعب العراقي بسُنته وشيعته وتجاوزوه بصعوبة وتضحيات كبيرة،ولا نريد أن تكون الأقاليم عفريتاً من الصعب إخراجه بالبخور والحرمل، خاصة إذا ما كان هذا العفريت هو الحل الذي يجده البعض مناسباً له ومتنفساً يحقق من خلاله ما عجز عن تحقيقه في عراق موحد غير قابل للتقسيم تحت أية مسميات كانت.
وبالتالي فإن صاحب الكلمة الأولى هو الشعب العراقي الذي بالتأكيد سيتمكن من أن يصنع مشروعاً ديمقراطياً وطنياً صحيحاً، بعيداً عن الكثير من التشوهات التي نالت من قيم المواطنة الصحيحة للشعب العراقي.

سنة أولى ثورات

إيمان محسن جاسم

يقترب الربيع العربي من عامه الأول، وقد أفرز حتى هذه اللحظة جملة من التغييرات الكبيرة على صعيد النظم السياسية وتأسيس الديمقراطية في منطقة لم تعرف التعددية من قبل ولم تشم رائحتها إلا من خلال ثورات الربيع العربي.
ويبدو لكل متابع أن مواقف الكثير من الدول العربية لاسيما دول الخليج العربي إزاء الثورات الشعبية العربية كان محل اهتمام المراقبين لكون هذه المواقف كانت متناقضة مع مواقف مماثلة في الماضي القريب جداً، أول هذه المواقف تمثل بسعي دول الخليج إلى دعم الثورة الليبية والسورية تحت شعارات بناء الديمقراطية ونشرها، وفي المقابل وجدنا أن هذه الدول نفسها كانت وما زالت تقف بالضد من عملية ترسيخ الديمقراطية في العراق وتسوغ هذا الرفض، بأن الديمقراطية في العراق جاءت نتيجة الاحتلال الأميركي دون أن تعترف بأن عملية الاحتلال الأميركي للعراق وإسقاط نظام البعث انطلقت من أراضي الخليج وقواعده ولم تنطلق من تركيا أو إيران وإن القوات التي أسقطت نظام صدام عام ٢٠٠٣، تعود الآن في عام ٢٠١١ لقواعدها في الخليج العربي، لكن السبب الحقيقي يكمن بأن الديمقراطية في مفهومها ودلالاتها ونتائجها من شأنها أن توصل الأغلبية لسدة الحكم وهذا ما ترفضه الكثير من الأنظمة في المنطقة، خاصة إذا ما عرفنا بأن التركيبة الديمغرافية للشعب العراقي ووجود أغلبية شيعية من شأنها ألا تسمح لدول الخليج العربي بأن تدعم أية ديمقراطية في العراق، طالما أن نتائجها معروفة سلفاً بحكم الواقع وليس غير ذلك، وبالتالي فإنها تقف بالضد من البناء لديمقراطي في العراق، بل تسعى أحياناً كثيرة لدعم المناهضين لهذا داخل العراق.
هذا الموقف من الديمقراطية في العراق ونقيضه من نشر الديمقراطية في ليبيا ومحاولة نشرها في سوريا بدعم خليجي واضح جدا يجعلنا نسأل هل هذه الدول باتت مقتنعة بالديمقراطية كخيار شعبي سواء أكان في ليبيا أو سوريا أو العراق أو غيره من البلدان؟ أم إنها ما زالت تنظر للأمور من الزاوية التي نظرت بها للديمقراطية في العراق على إنها ستوصل الأغلبية للحكم؟
هنا علينا أن نفكر ملياً بدوافع دول الخليج العربي لمعرفة دورها وأدوارها في الربيع العربي وفق ما تم حتى الآن وما يمكن أن يحصل في المستقبل القريب، أول هذه الدوافع يكمن بأن مساهمة دول الخليج في انتقاء دعم انتفاضات الشعوب العربية تمنحها فرصة أن تسقط من تريد إسقاطه وإبقاء من تريد إبقاءه، وفق مفهوم الزعامة العربية التي تسعى إليها بعض دول الخليج لاسيما السعودية وقطر ومواقف كل منهم في هذا الشأن.
في الحالة المصرية كانت ثمة انقسام خليجي واضح جداً عبر محورين، المحور الأول داعم لنظام مبارك ممثلاً بالعربية السعودية والكويت، ومحور آخر داعم للثورة عبر قطر وذراعها القوي الجزيرة، وفي الحالة الليبية وجدنا قطر والإمارات وتواجدهما العسكري والمالي القوي في دعم عمليات الناتو ضد القذافي، يقابله صمت سعودي،أما في الحالة السورية فوجدنا اندفاعا سعوديا قويا ودورا قطريا سياسيا أكثر مما هو محرض، لكن ما يتفق عليه الجميع في الخليج العربي هو رفض التجربة الديمقراطية في العراق، وهذا هو الوجه الأول من أوجه التناقض.
والربيع العربي بدرجة كبيرة جداً أوجد حالة جديدة تمثلت بأن دول الخليج العربي وجدت بأن الدفاع عن نفسها يبدأ من أن تأخذ دول الخليج زمام قيادة عملية التغيير في البلدان الأخرى ودعمها مالياً في إطار دولي مستغلة الأزمة المالية العالمية وما يمكن أن يجعلها الدول الأغنى والقادرة على تمويل العمليات العسكرية ضد الأنظمة بغطاء دولي، كما حصل في ليبيا، وكما سيحصل في سوريا، هذا التوجه يمنحها صفة (الراعية للديمقراطية) والحريصة على نشرها في المنطقة شريطة ألا تصل الديمقراطية إليها، ولنا في أحداث البحرين ما يدلل على ذلك.

كاريكاتير

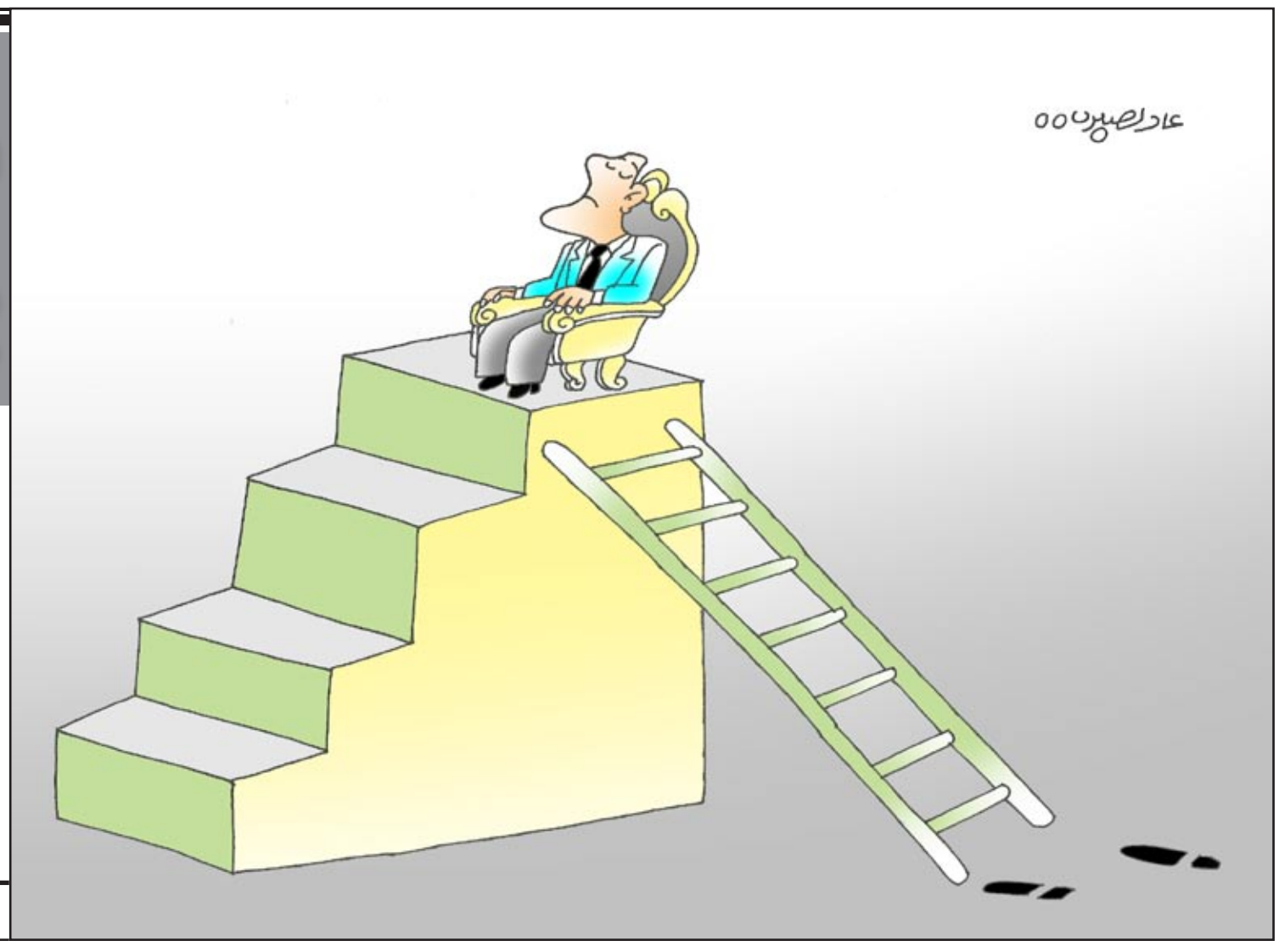

■ عادل صبري

(العم سام) يختار ارتداء النقاب

لينا مظلوم ★

اللحظة الفاصلة في سياسة الولايات المتحدة بعد ١١ ايلول ٢٠٠١ وتداعيات الصدمة قد تبدو مبررا منطقيا للقرار الاميركي نقل حربه مع ما اطلق عليه "الارهاب" الى خارج حدود قارة اميركا... اختارت لتنفيذ هذا القرار عنوان (القاعدة- اسامة بن لادن) وتوجهت بكل عتادها الى افغانستان.. ثم وفقا لما ورد في كتاب (خطة الهجوم) للصحافي الاميركي بوب وودوارد- الذي كشف فضيحة ووترغيت- توجه وزير الدفاع رمسفيلد الى رئيس اميركا حينذاك بوش(الابن) قائلا: (لقد قصفنا كل الاهداف في افغانستان ولم يعد هناك ما يستدعي القصف.. ابحث لنا عن اهداف اخرى). اختار بوش بقعة اخرى – هذه المرة العراق- .. واضعا في اعتباره- مع مستشاريه- ان الفوضى المترتبة على غزو العراق ستفتح الابواب امام تنظيم مثل القاعدة لنقل حربها مع الولايات المتحدة الى العراق بعد ان اصبحت حدوده مستباحة نتيجة هذا الغزو.. فالسياسة الاميركية هي التي خلقت الوحش (القاعدة) ثم فقدت السيطرة عليه.. وهي ادرى بردود افعاله. خلال العام الماضي .. مع كل التغييرات التي شهدتها المنطقة العربية تحت عنوان (الربيع العربي).. عادت الى الظهور على سطح الاحداث العلاقة بين سياسات الولايات المتحدة والتيارات والقوى التي تريد فرض واقع ديني كبديل سياسي لأنظمة الحكم العربية المتهاوية.. هذه العلاقة بكل طبائعها الشائكة والمعقدة طرحت نفسها على تطورات الاحداث.. وفي غياب دور الدول العربية المؤثرة مثل العراق، سوريا، بعض دول شمال افريقيا.. اختارت الولايات المتحدة دور المراقب السلبي امام محاولات عنيفة من التيارات الدينية لتحقيق استحواذ سياسي على حالة (الربيع العربي).. يلتقي صناع القرار الاميركي مع قادة هذه القوى داخل الغرف المغلقة مع تعتيم كامل لطبيعة هذه الاجتماعات.. مما لا يتيح للمتابع معرفة اسباب فتح قنوات الاتصال هذه.. خصوصا ان ولاء هذه القوى الدينية –على اختلاف مسمياتها- والاهم مصادر تمويلها تعود الى التيار السلفي المتمركز في المملكة العربية السعودية – وهو مثبت تاريخيا منذ انشاء جماعة الاخوان المسلمين في مصر عام ١٩٢٨.
تطور العلاقة بين الطرفين ظهر بوضوح على المشهد العربي بعد فوز التيار الاسلامي في الانتخابات التي جرت مؤخرا في تونس.. مع انباء الفوز توالت (جرعات) الطمأنة الفورية من راشد الغنوشي زعيم حركة النهضة أن حزبه لا ينوي التدخل في قضايا مثل التضييق على السياحة او تقديم الخمور او فرض الحجاب على النساء.. وهو ما يتفق مع (الطبيعة الخاصة) للتيار الاسلامي في تونس التي تميل الى الانفتاح على العالم وحضاراته مقارنة بالتيارات الاسلامية في باقي المنطقة العربية.. اذ تتجه الاولى الى تطبيق النموذج التركي والماليزي.
لم تنتظر التيارات الاسلامية طويلا لاقتحام المشهد الليبي اثر اختفاء حكم معمر القذافي من الصورة.. نوايا هذه التيارات بدت واضحة في التصريحات الاولى لقادة حركة التحرير الليبية.. وخلال لحظة ترقبها العالم مع اعلان تحرير ليبيا.. اعلن القادة عن تمسكهم بالشريعة الاسلامية وعزمهم على الغاء كافة القوانين السابقة التي تخالف الشريعة الاسلامية.. رغم الدور الاجنبي الاساسي الذي قامت به قوات (الناتو) الاوروبية في هذا التحرير. بينما اكتفت الولايات المتحدة – كعادتها- بدور (ادارة العمليات).. وتتجه الاحداث نحو فتح قنوات اتصال بين الولايات المتحدة وهذه التيارات.. طبعا مع الوضع في الاعتبار – من وجهة النظر الاميركية- ان التعامل مع ملفات الدول (النفطية) له ظروف واهتمامات مختلفة.
في مصر هبت قوى من الشباب بعد سنين الغليان، لتجبر حكم مارس عليها كل أشكال (العناد) السياسي والذي أعماه عن رؤية الواقع العربي مع انظمة فقدت صلاحيتها وشرعيتها.. وما ان لاحت بشائر نجاح ثورة ٢٥ كانون الثاني.. حتى سارعت جماعة الاخوان المسلمين والتيارات السلفية الى الانقضاض على براءة الشباب واقصائهم عن المشهد بعد ان كان الشباب اصحاب دور البطولة الحقيقية في الثورة.. جماعة الاخوان اقصيت لسنين طويلة مارست خلالها العمل السري.. وهي رغم كونها حاليا التكتل الوحيد في المشهد المصري الذي يتمتع بتجربة تاريخية في العمل السياسي.. الا ان فرصة استئثارهم بالحياة السياسية في مصر تبدو بعيدة لعدة اسباب منها.. مع انتقال (الاخوان) من العمل في الخفاء تحت الارض الى العلن.. ظهرت اخطاء وخلافات داخلية بينهم وتضارب في التصريحات والنوايا.. كشفت عن قصور في الخبرات السياسية داخل مصر وعلى الصعيد العالمي.. مما دفعهم الى تغذية الآلة الاعلامية بكل ما يحمل المبالغة في اظهار كثافة شعبيتهم في الشارع المصري.. لتبدو اكبر بكثير من الواقع.. اما فرص النجاح التي تمتلكها هذه التيارات- بكل مسمياتها- تعتمد على نسبة (الأميّة السياسية) العالية تحديدا في قرى الريف المصري وصعيد مصر.. اذ تلجأ هذه التيارات الى تلبية المتطلبات اليومية البسيطة لهذه الجموع (كالغذاء والعلاج).. ثم تدفع بهم نحو صناديق الانتخابات دون ادراك.. وهذا طبعا لا يعبر عن مبدأ الفرصة الحقيقية للاختيار ولا عن ديمقراطية العملية السياسية.. علما بان التيارات الاسلامية أجّلت قرار دخولها الى مختلف ميادين الربيع العربي لتكون آخر طرف يشارك في (فعل) الثورة.. وينصب تركيزها على السيطرة والتهام اكبر نصيب من (الكعكة).
في مصر خطوط الاتصال بين الولايات المتحدة والتيار الاسلامي سبقت ثورة ٢٥ كانون الثاني.. وان ارتقى من مرحلة التعتيم الاعلامي الى غزل متصاعد انتهى بالتصريح الأخير للادارة الاميركية حول ترحيبها بوصول الاخوان المسلمين الى الحكم طالما تم ذلك عن طريق انتخابات.. طبعا هذا الترحيب لم يضع في حساباته الاجواء المشحونة والمنازعات الداخلية بين اغلب الفئات والطوائف والتكتلات السياسية، مما يهدد قيام عملية سياسية ديمقراطية نادى بها المصريون في ميدان التحرير. قد يبدو (التكهن) صعبا وسط الاجواء الضبابية المحيطة بالساحة العربية.. الا ان التفسير الاقرب الى منطق الاحداث جاء ضمن سلسلة حوارات اجراها الكاتب والصحافي محمد حسنين هيكل عن (مرحلة) احتضان الولايات المتحدة للتيارات الاسلامية لتهيئة المنطقة الى مواجهة مع ايران.. مما يتطلب وجود العالم الاسلامي في صف الولايات المتحدة..
يبقى السؤال الاهم في حال التسليم بان الولايات المتحدة تمارس ذات (السيناريو) المكرر معتمدة على خلق (وحش) ما يخدم مصالحها ثم تفقد السيطرة وتشن حربها عليه.. في وجه من ستنفجر توابع هذا (الوحش) بعد خروجه عن اطار مصالح (العم سام)؟.

★ كاتبة عراقية مقيمة في مصر